بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الطبيب محمَّد ماهر رمضان

لا عدوى ولا طيرة

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله رب العالمين، الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، اللهم لك الحمد مِلء السماوات والأرض وملء ما بينهما، عدد خلقك ورضا نفسك، وزنة عرشك ومداد كلماتك، لك الحمد يا ربنا على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة، ولك الحمد على نعمائك كلها ما علمنا منها ومالم نعلم، اللهم عرفنا نعمك بدوامها، ونعوذ بك اللهم من زوالها، واجعلنا من الشاكرين، اللهم أتم نعمك علينا وفضلك، اللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحانه وتعالى بيده مقاليد الأمور يصرفها كيف يشاء، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى من اتبع طريقه واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد عباد الله، أوصيكم ونفسي الخاطئة بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨-١٩] وبقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

أيها الإخوة المؤمنون: روى البخاري بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد))

وفي رواية الإمام أحمد: فقال أعرابي لرسول الله ﷺ: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، الظباء جمع ظبي، وهذا تشبيه لها في الجمال والكمال، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها، فيخالطها جمل به جرب فيجربها، فقال النبي ﷺ: ((فمن أعدى الأول؟))

العدوى في اللغة: هي سراية المرض من شخص لآخر، أو من كائن لآخر، وقول النبي ﷺ: ((لا عدوى)) أي لا سراية، وهو خبر أُريد به النفي كما قال العلماء، أو أريد به النهي، أي لا يكن منكم سبب في إعداء الغير كما قاله بعض العلماء الآخرون، ولنا عودة لهذا.

((لا عدوى ولا طيرة)) أي لا طِيرة في الإسلام، ولا تَطير في الإسلام، فهذا من شأن الجاهلية وقد هدمه الإسلام، والتطير من أفعال الجاهلية، يبعثون طائراً ويُقدمون على فعل أو يتركونه بناء على سير الطائر يمنة أو يسرة، فيتطيرون به، فإن ذهب يمنة تفاءلوا بهذا الأمر، وإن ذهب يسرة وشمالاً تشاءموا بهذا الأمر، ((لا طيرة)) فهذا من اعتقادات الجاهلية، لا يَجوز لأحد أن يَسير به، أو أن يَعتقده، فنفى النبي ﷺ أن يكون لهذا التطير أي أثر في نفع أو ضر، ونهانا عن فعل ذلك، فالأمر كله من الله عز وجل، يجعل فيه الخير أو يجعل فيه الشر، ولا يجوز للمرء أن يتطير أو أن يفعل فعلاً من أفعال الجاهلية.

((لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر)) أما الهامة فهي اعتقاد جاهليٌ ببعض الطيور كالبومة ونحوها أن رُوح القتيل تحلُّ بها وتنعق بالثأر، أو أنها إذا نزلت وهبطت على بيت من البيوت فإنها تنعى صاحب البيت الذي تَحط عليه، وتكون نذير شؤم على صاحب هذا البيت، أنه يَموت أو تحل به مصيبة، هذا الاعتقاد نفاه الإسلام وهدمه الإسلام، فهو من اعتقادات الجاهلية.

((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)) وقد كان أهل الجاهلية يتشاءمون بشهر صفر، ونفى النبي ﷺ هذا الاعتقاد الجاهلي، فالأيام كلها من خلق الله، ولا يَجوز أن تتشاءم من يوم معين من أيام الأسبوع، كالأربعاء ونحوه، أو شهر معين كشهر صفر ونحوه، فالأيام كلها أوعية للزمن خلقها الله تعالى، ((لا هامة ولا صفر)).

((لا عدوى)) يقول العلماء في شرح هذا الحديث: ((لا عدوى)) أي أن الأشياء والأجسام لا تُعدي بذاتها ولا طبعها، إنما إذا أراد الله لها ذلك يحصل ذلك، وإن لم يُرد لم يَكن لها فعل بذاتها أو بطبعها، فلا عدوى إلا إذا قدر الله أن يكون، ولا عدوى إلا إذا قدر الله أنت تسري الآفة للآخر، والدواء لا يَشفي بذاته إلا إذا قدر الله عز وجل الشفاء به، فكم مِن مرض أخذ الدواء المناسب لعلته ولم يُقدر الله له الشفاء، النار لا تحرق بذاتها، إنما يخلق الله الأثر عندها لا بها، النار لا تحرق بذاتها إنما يخلق الله عز وجل أثرها وأثر الدواء عندها لا بها، فإذا أراد الله عز وجل سلبها قوة الإحراق فلم تعد تؤثر.

أُلقي سيدنا إبراهيم عليه السلام في النار، ألقاه النمرود، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم بإذن الله تبارك وتعالى، سحب الله عز وجل منها خاصة الإحراق، وأبطل الله بها خاصة الإحراق، فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، النار في حكم العادة والمألوف تحرق، ولكنها بقوة يَخلق الله عز وجل الأثرة عندها لا بها، إذا أراد اللهُ للنار أن تحرق فتحرق، وإذا أراد الله ألا تحرق فإنها لا تحرق، والسكينة لا تقطع إلا إذا أراد الله عز وجل، ألم تروا كيف سلَبَ الله قوة الذبح بالسكين لما أراد سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يُنفذ أمر الله؟ ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] واستسلم لأمر الله وأمسك بالسكين، وأراد تنفيذ أمر الله عز وجل، فلم تقطع السكين أبداً، لأن الله عز وجل سلب منها هذه القوة.

فهذه أسباب ومسببات، ترتبط ببعضها ارتباطاً عادياً، أي بحكم العادة، وإذا أراد الله لسبب من الأسباب أن لا يكون له أثر كان ما أراد الله عز وجل، لا كمسيرة السبب، فالفاعل الحقيقي هو الله تبارك وتعالى، فالشافي هو الله تبارك وتعالى، والمؤثر هو الله تبارك وتعالى، والنافع والضار في هذا الكون هو الله تبارك وتعالى، نتعاطى بإذن الشرع، نتعاطى الأسباب الظاهرة للنفع، ونتجنب الضر والضرر، ونفر من المجذوم بإذن الشرع كما أرشدنا الشرع الحنيف والسنة المطهرة، ونفر من المجذوم كما نفر من الأسد، ولا ندخل أرضاً فيها طاعون، وإذا كنا في أرض وفشا فيها الطاعون فلا نخرج منها، وذلك هو الحجر الصحي، حتى لا تَكون سراية للأمراض، وكل هذا نفعله مع اعتقدنا أن الفاعل والمؤثر هو الله تبارك وتعالى، وحمايتنا وحصننا توكلنا على الله تبارك وتعالى، مع تعاطي الأسباب كاملة كما أمرنا الشرع الحنيف، من الأسباب المشروعة فر من المجذوم كما تفر من الأسد، ومن الأسباب المشروعة ما قاله ﷺ: ((لا يُورد ممرض على مصح)) من كانت عنده إبل فيها مرض فلا يُوردها على صاحب الإبل التي تَكون صحيحة، ومثل ذلك من كان عنده أولاد بهم آفةٌ ثانية فينبغي امتثالاً لحديث النبي ﷺ أن نَتعاطى أسباب الحماية الظاهرة، ونعلق قلوبنا بالله تبارك وتعالى، لأننا نفعل هذه الأفعال، ولكن الذي يقينا، ولكن الذي يحمينا، ولكن الذي يحفظنا، هو الله تبارك وتعالى.

قال ﷺ: ((إذا وقع الطاعون بأرض ولستم بها فلا تهجموا عليها، وإذا وقع بها وأنتم بها فلا تخرجوا منها)) رواه الإمام أحمد.

سيقول قائل: كلنا نلحظ أن العدوى أمرٌ واقع ملموس مُثبت علمياً، فكيف ينفيه النبي ﷺ؟.

والجواب في تتمة حديثه ﷺ، وفي جوابه على اعتراض الأعرابي الذي رأى مثل ما نرى، يقول الأعرابي للنبي ﷺ: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال ﷺ: ((فمن أعدى الأول؟)) إذا كنت

تَعتقد أن هناك سلسلة، هذا قد أعدى هذا، وهذا قد أعدى هذا، فالأول في هذه الإصابة مَن الذي قدر عليه ومن أين أتى بهذه الإصابة؟ قال ﷺ في كلمة مختصرة: ((فمن أعدى الأول؟)) الذي خلقه وقدر المرض عند أول كائن مِن غير أن يَسبقه أحد قادر على أن يخلق ويقدر المرض دون سبب ودون تماس مع غيره، وقادر على أن يمنع حصول المرض رغم حصول التماس مع المريض، وهذا نلحظه وننسبه إلى المناعة، ولكن مَن الذي خلق المناعة؟ ومن الذي قوى مناعة فلان وأضعف مناعة فلان؟ إنه الله تبارك وتعالى.

قال بعض العلماء وشراح الحديث: ((لا عدوى)) أي لا يكن منكم مَن يتسبب بالعدوى، كما قاله ﷺ: ((لا ضرر ولا ضرار)) أي لا يصدر منكم ما يكون سبباً في الضر والإضرار، ولا يصدر منكم ما يكون سبباً في العدوى.

إذا معشر المؤمنين: نتعاطى أسباب الوقايات فهي مشروعة، ولكن نَعتقد أن المؤثر والفاعل في هذا الكون هو الله تبارك وتعالى، والشافي هو الله تبارك وتعالى، والحافظ هو الله تبارك وتعالى، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يَنفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)) خلق الله عز وجل ملائكة لحفظنا وحراستنا، وجعل جهاز المناعة الدَّؤوب لا يَفتر من الكريات البيض بأنواعها من الكلومونيات المناعية، وأنت نائم غافل ساه عن عناية الله بك وحفظه لك، فكن من الشاكرين، ومن الشكر لله عز وجل على نعمة العافية وعلى نعمة أن أَصبحت اليوم بعافية ونعمة من شكرك لله عز وجل أن تعلم بأن هذه النعمة من الله تبارك وتعالى، فتتوجه بالشكر لله تبارك وتعالى، وأن تُؤدي الفرائض التي فرضها الله عز وجل عليك، فذلك من شكرك لله تبارك وتعالى، وأن تستعمل هذه الجوارح وأن

تستعمل صحتك وعافيتك وقوتك في مرضاة الله، وأن لا تَستعمل جوارحك وقوتك في معصية الله تبارك وتعالى.

معشر المؤمنين: شرع الله لنا ما تَستقيم به حياتنا في الدنيا والآخرة، وسن لنا المصطفى ﷺ سُنناً هي صحة لأبداننا ووقاية لنا ولمجتمعنا من أمراض شتى:

قال ﷺ عندما سُئل: يا رسول الله أنتداوى؟ أنتداوى؟ قال: ((نعم، تداووا يا عباد الله، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له الشفاء، غير داء واحد)) قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: ((الهرم)) رواه الترمذي وابن ماجه.

وقال ﷺ: ((الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم -أي الحجامة- وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي)) رواه البخاري.

وقال ﷺ يعلمنا الوقايات التي تصون صحتنا وصحة المجتمع، يقول ﷺ: ((اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد والظل وقارعة الطريق)) رواه ابن ماجه، هذا الحديث أصل في الحماية من التلوث، وحماية البيئة ومصادر المياه من التلوث، والملاعن جمع ملعنة، وهي الفعلة التي يُلعن بها صاحبها.

أولاً: البراز في الموارد، موارد المياه، فقضاء الحاجة من تبول أو تبرز أو تغوط في مجمع مائي أو نهر أو ساقية أو بئر أو بحيرة ماء أو نحو ذلك، كل هذا مما نهى عنه رسول الله ﷺ، وهو سبب لملعنة.

ثانياً: البراز في الظل، حيث يكون المكان الظليل مقصوداً من الناس، فيجلسون فيه فيتأذون بهذا القذر والفضلات وما يلحق ذلك من ذباب ورائحة، فنهى رسول الله ﷺ عن البراز في الظل، ومثله أماكن التجمعات العامة، أو التي يقصدها الناس ويجتمع فيها الناس.

والثالث: هو قارعة الطريق لنفس العلة من أذى الناس.

نعم معشر المؤمنين: ديننا دين طهارة ونظافة ورقي وحضارة، فالحمد لله على نعمة الإسلام، هو الذي ارتضى لنا الإسلام ديناً، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالحمد لله على أن هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

خصال عشر سنها لنا رسول الله ﷺ، كلها وقايات من أمراض شتى، وطهارة للفرد والمجتمع، ووقايات وحمايات، قال ﷺ: ((عشرٌ من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاءُ اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء)) قال مصعب من رواة الحديث: (ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة) ومعنى ((غسل البراجم)) غسل عقد الأصابع ومفاصلها كلها في الوضوء. ((وانتقاص الماء)) هو الاستنجاء.

وفي حديث آخر: ((الفطرة خمس: الاختتان، والاستحداد -أي حلق العانة- وقص الشارب، وتقليم الأظفار)) رواه مسلم. أما الاستحداد فهو حلق العانة، وأما الاختتان فهو الختان المعروف للصبي، وهو وقاية عظيمة من الالتهابات البولية، ووقاية من السرطان في تلك الناحية، ووقاية من سرطانات عنق الرحم عند الزوجة، فيتعدى أثره وفائدته إلى زوجته في وقايتها من أمراض شتى.

الاستنجاء بالماء والتطهر بالماء مدحه الله عز وجل، ومدح أهل قباء الذين كانوا يتميزون به، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

الوضوء المتكرر، وكذلك الغُسل، الوضوء كل يوم خمس مرات أو نحو ذلك من الأمور العظيمة في ديننا في الوقاية من الأمراض، ففي دراسة على بعض تلاميذ في بعض المدارس الأمريكية، قُسِّم الطلاب إلى قسمين: قسم تركوا على عادتهم، وقسم -نصف آخر- أُجبروا على غسل أيديهم أربع مرات في اليوم، ثم رُوقبت حالتهم لفترة أشهر معدودة، ثم دُرِسَت نِسبة الأمراض العادية والانتانية عندهم -عند هذا الشطر- فَوجدت تناقص بـ ٧٥ بالمائة في الفئة الثانية ذات غسل اليد المتكرر، تناقصت نسبة الأمراض إلى الربع في أولئك الذين كانوا أُجبروا على غسل أيديهم في اليوم أربع مرات.

فالحمد لله الذي شرفنا بالوضوء، وشرفنا بهذه الطهارات، وشرفنا بهذه السنن، سنن المصطفى ﷺ.

كذلكم السواك، يقول ﷺ: ((مالكم تدخلون علي كُلحى)) أي في أفواهكم وعلى أسنانكم هذه المادة السميكة الصفراء ذات الرَّائحة، ((مالكم تدخلون علي كُحلى؟ استاكوا، فلولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء)) رواه الطبراني.

ومعلوم كم أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أثر السواك، والمواد التي خلقها الله فيه، وعملية التسويك من وقاية للثة والفم، ومن وقايات من نخر الأسنان ورائحة الفم، بهذه السنة المطهرة.

ديننا كله خير، وديننا كله طهر، وديننا طهارة للظاهر وطهارة للباطن، والحمد لله الذي شرفنا بهذا الدين، وهدانا إليه، فلله الحمد والمنة، اللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم احفظنا بما تحفظ به عبادك الصالحين، اللهم إنا نسألك العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك تمام العافية، ونسألك الشفاء من كل داء يا رب العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين، فاستغفروه يغفر لكم إنه كان غَفَّاراً.

بتصرف